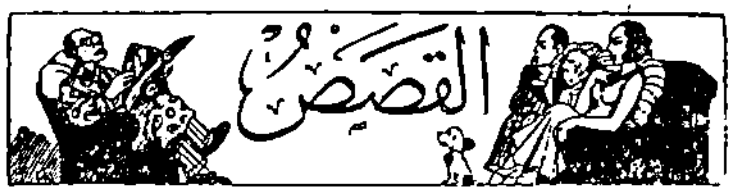

«طاهر أفندى»

للاديب محمد أبو المعاطى أبو النجا

كان السائر فى طرقات القرية يسترعى انتباهه ذلك الحديث الهامس بين الجالسين على المصاطب وبين السائرين فى الطريق ! !

ذلك الحديث الذى يدور حول طاهر أفندى. وما كان من عادة أهل القرية أن يتحدثوا عنه بذلك الاهتمام لولا ما حدث اليوم فى منزله؛ ففى الصباح الباكر حضر لديه طباخ من المدينة القريبة وما زال منهمكا فى إعداد طعام خاص ... وطاهر أفندى نفسه دائب الحركة فى أنحاء الدار ينظم القاعد هنا وهناك وصوته المتقطع المرتعش يرتفع كل حين آمرا أبناءه أن يعيدوا تنظيم ذلك المكان أو يغيروا ذاك المقعد حتى أضحى بيته وهو أوفر ما يكون أناقة ورواء ... وها هو ذا العمدة وبعض الأعيان قد يمموا داره منذ حين !! ... ماذا هناك يا ترى ؟ أتكون وليمة ؟ كل المظاهر تنبىء عن ذلك!

ولكن الشىء الذى يقف بين هذه الفكرة وبين عقول الناس، أو بعبارة أوضح الشىء الذى أثار تساؤل الناس وحيرتهم ... هو أن طاهر أفندى شخصية معروفة بالبخل والكزازة ! لقد كان الزائر الذى يظفر فى بيته بكوب من الشاى أو وجبة من الطعام يعتبر محظوظا فكيف يقيم وليمة ، وينفق فيها بسخاء ؟ ولمن يا ترى تلك الوليمة ؟ أتكون للعمدة ؟ ولكن العمدة وطاهر افندى يقيمان فى القرية منذ عشرات السنين فلماذا لم يفكر فى استضافته إلا اليوم فقط ؟ وراء هذه الأسئلة كان يختفى الصمت اليقطع

تلك الأغنيات السخيفة التى يصف فيها الحبيب ذله لحبيبته

وله فى الأحداث السياسية عدة قصائد يذكى فيها روح الشباب ويطالب العزة لمصر عن طريق الكفاح . قال فى قصيدة بعنوان « ما سمعنا بمصر إلا صياحا »

سبب العيش عدة وكفاح لا يصون الحقوق إلا السلاح
ما سمعنا بمصر إلا صياحا آه يامصر ما كفاك الصياح

وهذه أبيات تصلح أن تقال اليوم كما قيلت بالأمس .

وجاء فى قصيدة له ألقيت فى محطة الإذاعة عام ١٩٤٨

ولم تكن مصر فى أغلال آسرها مأسورة الروح بل مأسورة البدن
ما أهون الروح فى الأوطان نرخصها لكنها سوى الأوطان لم تهن

وبعد لقد أطلت عليك أيها القارىء ولما أفرغ بعد من الاشارة إلى سائر القصائد التى وردت فى هذا الديوان . فعليك به ، فهو دليل على هذه الروح المصرية التى يريد أصحاب مذهب الاقليمية فى الأدب تطبيقها . فيه الحوادث الكبرى والصغرى مما وقع بمصر خلال عشرين عاما : وفيه نفسية الشاعر التى انفعلت بهذه الأحداث وتأثرت بها فصاغتها هذا الشعر العذب ؛ وبذلك تكون الروح المصرية التى تسم الشاعر بطابع خاص هى فى حقيقة الأمر البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها ، لا مجرد البيئة الجغرافية، أو البيئة الجامدة التى خلفتها آثار الأقدمين . ويكون من الخطأ التماس هذه الروح فى الشاعر الذى يتحدث عن الأهرام أو النيل أو الصحراء وما إلى ذلك ، بل الشاعر الحق هو الذى يسير فى موكب الحياة ، والحياة لا تعرف ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا لأنها كماء النهر تنساب فى جريان ، ولكن اللحظة الحاضرة هى أشد اللحظات أثرا فى حياة صاحبها .

فاذا طبقت هذا الميزان على الشاعر محمد عبد الغنى حسن رأيت أنه الشاعر المصرى الذى يمثل الروح المصرية أصدق تمثيل. أثرت فيه أحداث الحياة فتغنى بكل ذلك شعراً أودعه أحاسيسه وخواطره فنظم فى مدح الرسول تعظيما للدين ، وفى

مولاى شرف باسمك الصحراء واركز لمصر فى الرمال لواء

تحية للفاروق بمناسبة رحلة جلالته إلى الصحراء الغربية .

وفى ذكرى محمد على باشا

يا مالئا صفحات السهل والجبل ذكراك باقية فى صفحة الأزل

وفى الوطن والعروبة . وفى تحية الاصدقاء ، ورثاء الاحباء ، وفى الحث على البر والاصلاح ، وفى الحث على الهمة والاعتزاز بالكرامة مما يمثل العصر أصدق تمثيل ، فلا عجب أن يكون الشاعر صورة للمجتمع الذى يعيش فيه .

أحمد فؤاد الاهوانى

حبل الحديث بين الجالسين على المصاطب وبين السائرين فى الطريق !

والواقع أن الجواب لن تظفر به إلا من طاهر أفندى نفسه . لتذهب إذن إلى تلك الدار التى تموج بالحركة وتفيض بالناس هنالك فى أقصى القرية !!

ولا مانع من أن أرسم صورة تقريبية لطاهر أفندى حتى ينسنى لك أن تتعرف عليه وسط المدعوين. إن قامته المتوسطة التى تميل إلى الأمام قليلا، ونظارته المتينة التى تجثم على عينيه تؤكدان لك أنه لا بد يشغل إحدى الوظائف الكتابية ... أما وجهه الذى ملأته التجاعيد حتى صار أشبه ما يكون بثوب لم يعرف يوما طريق « الكواء » فيؤكد لك بدوره أنه ليس فى عمر الزهور ... وأما بذلته التى تنافس طوابع البريد فى القدم فإنها تقنعك بأن حديث الناس عن بخله ليس للاشاعات فيه نصيب !!

من السهل عليك إذن أن تتعرف عليه وسط الناس ، ولكن ليس من السهل أن تتعرف على أفكاره التى تضطرب فى خاطره تماما كما يضطرب هو فى أنحاء الدار ...

إنه يزمق أنواع الطعام التى تعد ، وأصناف الفاكهة التى تهيأ، فيشعر بانقباض حين يذكر تكاليف ذلك كله ؛ ولكنه سرعان ما يسرى عن نفسه حين يتذكر أن ضيفه هو مفتش المنطقة التى يعمل بها !

وتعود به الذكريات إلى ذلك اليوم الذى جلس فيه إلى أحد زملائه فى العمل وجعل يشكو إليه على عادته بؤس الحياة وعنت الوظيفة وإهمال الحكومة ... ويذكر جيدا أن زميله هتف به قائلا: أنت رجل طيب لا تعرف الكثير عن أساليب العيش. تستطيع أن تجبر الحكومة على إنصافك حين تتودد إلى الرؤساء فتدعوهم إلى دارك وتقيم لهم الولائم وتظهر لهم ...

ويذكر أيضا أنه لم يستسغ هذه الفكرة إلا بعد أن أكد له زميله أنها مجربة !

إن الذى يطمئن طاهر افندى الآن هو أن أمواله التى ينفقها سخيا على هذه المأدبة ستعود إليه ذات يوم ، وستكون بصحبة زميلات لها ! أجل ستعود حين يرقى الى الدرجة السادسة بمساعدة المفتش الكبير ...

ويتنبه طاهر أفندى من أفكاره حين يقبل أكبر أبنائه ليتحدث اليه فى بعض الشئون بلهجة ظهر فيها الضيق والنيظ ولا يكاد ينصرف حتى ترتسم على شفتى طاهر أفندى بسمة ساخرة فيها كثير من الرثاء ، الرثاء لابنه الأحمق الذى لا يفهم الحياة كما يفهمها والده !

إنه يعرف جيدا سبب هذا الضيق الذى يبديه ولده فى كلامه، ذلك أنه طلب إليه فى مبدأ العام الدراسى أن يشترى له بذلة جديدة، ولكنه أفهمه أن ذلك مما يرهق ميزانية الأسرة. لاشك أنه يتساءل الآن لماذا لا ترهق هذه الوليمة ميزانية الأسرة ؟! ولكن غدا سيعرف هذا الغر الأبله أنه يفكر فى دائرة أضيق من التى يفكر فيها أبوه ... ثم أخذ يتمتم ماذا لو ترك الآباء أبناءهم يتصرفون بكامل حريتهم ، فلا يفسدون عليهم أمورهم بآرائهم القطيرة !

وبعد قليل ينظر طاهر افندى فى ساعته فيرى عقربها يشير إلى الثالثة بعد الظهر. لم تبق إذن سوى ساعة على حضور المفتش الكبير !

وهنا فقط تقفز إلى ذهنه فكرة جديدة . إن سعادة المفتش يحب دائما أن يقرأ جريدة « ... ... » المسائية ، ولا شك أنه لن يتمكن من شرائها اليوم لأنه قضى الليلة الماضية فى العزبة المجاورة عند شقيقه

ليرسل إذن من يحضرها على جناح السرعة من المدينة القريبة، فإن العربة المسافرة إليها توشك أن تتحرك لتعود بعد نصف ساعة تقريبا

كم ستكون مفاجأة ساوة للمفتش الكبير حين يجد جريدته المفضلة فى الانتظار !

وبعد نصف ساعة كانت العربة قد رجعت وفيها أحد أبناء طاهر أفندى ومعه الجريدة؛ ولم يكد يأخذها من ولده ليضمها فوق المنضدة المقابلة لكرسى المفتش حتى يطوف بذهنه هذا الخاطر ... لا شك أن الزائر الكريم سوف يأخذ الجريدة معه حين خروجه، فلماذا لا يتصفحها أولا ؟ وبينا كانت نظراته الضعيفة تتساءل بين السطور إذا بها تسمر فجأة أمام خبر مؤداه أن المفتش الكبير قد انتقل إلى أقصى الصعيد ... !!

محمد أبو العاطى أبو النجا